

في نور محمد فاطمة الزهراء

وحرار الرجلان فيما رأياه، وأثقلهما هم عظيم. لكنّ سطيحاً، الكاهن المعمّر الذي أربى على المائتين من السنين، لا استغلق عليه الأمر ولا حار، وكان تأويله: اندثار الدولة الكسروية، وذهاب ريحها إلى أبد الآبدين، تحت أقدام أولئك القادمين من وديان المحلّ والرمال[231]. * * * وانطفأت أيضاً نيران دين المجوسية وخدمت في معابدها عند ميلاد محمد، وعهد القوم بنارهم «المقدسة» هذه أنزها عاشت مشتعلة، حمراء الجذّي[232]، مشبوبة[233] اللهب، على امتداد ألف عام، لم تُهدم[234] قطّ إلاّ في هذا اليوم. آية ... أفهي نذير لمن أراد أن يلقي السمع والبصر والفؤاد وهو شهيد؟ ثم غاضت بحيرة «ساوة» ونضّبت ما بها من ماء[235]. آية أُخرى ... أفهي تذكرة، عسى أن يستيقظ من غفوة الروح والعقل الرُقّود النيام، وتتحرّك الأفهام والأحلام؟ فهل خدمت يومذاك أنفاس نار المجوس، أسفاً وحنناً على ما أصاب الإيوان؟ هل شفّها الظمأ فعبّت ما بالبحيرة من مياه؟ هل الماء تسرّب - إذ هو مقرر - من حيث كان، إلى حيث يستدفئ بتلك النيران؟ هل جاز فيهما قول من قال: كأنّ بالنار ما بالماء من بلل *** حزنناً وبالماء ما بالنار من ضم!